عودوا الينا باقلام كتّابكم وعقول مفكريكم وعاونوا اخوانكم المتخلفين في علمهم فتسير هذه البلاد متكئة على ذراع الدولة المنتدبة الكريمة نحو الرقي والاستقلال المنشودين

لا تناقض في التوحيد والتثليث

نظر لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

قرأنا في العدد الاخير من مجلّة المنار المصريّة لمنشئها السيد محمد رشيد رضا فصلًا عنوانهُ : « موافقة الاسلام للعقل دون غيره » جاء فيها (ص ١٩٢) ما نصُّهُ :

« من القواعد المقرّرة عند علماء العقائد الاسلاميّة أنّ دين الاسلام ليس فيهِ شيء يحكم العقل باستحالتهِ وانّ المسلم لا يُكلَّف ان يعتقد ما هو محال عقلاً . . والقاعدة عند غيرنا بخلاف ذلك (كذا) وهي انهُ يجب الايمان ولو بالمحال وان كان بديهاً كالجمع بين النقيضين او الضدّين المساويين للنقيضين كالتوحيد الحقيقي والتثليث الحقيقي اي كون الاله واحداً حقيقةً وغير واحد حقيقةً »

فهذا القول كما ترى موجّه الى ديننا النصرانيّ فيدّعي الكاتب — سامحهُ الله — باننا في معتقداتنا نجمع بين المتناقضات وضرب على ذلك مثال اعتقادنا بتوحيدهِ تعالى وتثليثهِ فنؤمن على زعمهِ في وقت واحد « كون الاله واحداً حقيقةً وغير واحد حقيقةً » فما قولنا ؟ أصحيح ان ديننا يوجب علينا « الايمان ولو بالمحال » ؟ وأنّنا في اعتقاداتنا « نجمع بين النقيضين » اللذين لا يمكن التوفيق بينهما ؟

١ اجوبة عمومية

نجيب على هذا (اولًا) انهُ لمن العجب العجاب انّ ديناً فيهِ بعض العقل من المناقضات ما فيهِ قد ثبت منذ تسعة عشر قرناً بل انتشر ولا يزال في كل انحاء المعمور (ثانياً) واعجب من ذلك انّ هذا الدين على الرغم من مناقضاتهِ قد شاع بين

الامم الأرجح عقلاً والارقى تمدُّناً والاوسع نفوذاً كاليونان والرومان والفرنج والعرب (راجع كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة) فدانوا لهُ دون ان توقفهم تلك المناقضات المزعومة مع ما فيهِ من الاحكام والشرائع التي تقاوم كلّ شهوات الانسان من ضبط الحواس والزهد ولزوم العفاف ومحبَّة الاعداء والصبر على الاضطهادات ممَّا لم يأمر بهِ دين غير النصرانيَّة . وعددهم حاضراً يناهز على ثلث سكَّان المعمور

(ثالثاً) ثمَّ انَّ بين الشعوب المتنصرة قد نبغ فلاسفة نطاسيّون قد جاروا ارسطو وافلاطون وسائر فلاسفة اليونان بل فاقوا عليهم بعلومهم كأوغسطينوس واوريجانس وترما الاكويني وبسكال ومئين غيرهم تشهد كتاباتهم الباقية الى يومنا على سموّ عقلهم وضلاعتهم في كلّ اصول الفلسفة وفروعها فكيف جهلوا تلك المناقضات التي ينسبها صاحب المنار الى الدين المسيحيّ ولم يمرّوا بها عرض الحائط ؟

(رابعاً) وليس فقط لم يجدوا اثراً لتلك المناقضات بل اقنعوا بصحَّة دينهم كثيرين من فلاسفة المشركين فردُّوهم الى معتقدهم كديونيسيوس الاريوباجي واثيناغوراس الفيلسوف الاثيني وقبريانوس القرطجني ويوستينوس النابلسيّ فعرفوا الحقيقة وماتوا شهداء في سبيل دينهم . أفكان هؤلاء من العميان فلم يستدلُّوا على تلك المناقضات؟ او كانوا من المجانين ليضحّوا حياتهم لاثبات ما ينفيهِ العقل السليم ؟

٢ من اين اخذ النصارى قولهم بالتوحيد والتثليث

من المعلوم انَّ وحدانيَّة الله قضيَّة تتَّفق عليها سائر الكتب المنزلة ويؤيّدها العقل الصائب بنورهِ الطبيعيّ فضلاً عن الوحي . ولا حاجة لبيان ذلك اذ لا ينكرهُ علينا احد

انَّما التثليث اي كون الله واحداً في ثلثة اقانيم من اين اخذهُ النصارى ؟ أهو اختراع منهم ؟ او هو قولٌ خُدعوا بهِ لا يستطيعون ان يثبتوهُ بدليل فتشبَّثوا بهِ جزافاً وأصرُّوا عليهِ ؟

الجواب على ذلك انَّ ما يخترعهُ الانسان من تلقاء نفسهِ من الخيالات والاساطير الباطلة لا يلبث ان يمجَّهُ وينفيهُ عنهُ . مثال ذلك ما اخترعهُ القدماء عن آلهتهم فانَّها خدعت ببهرجتها وتمويهها بعض الجهلاء لكنَّها اضمحلَّت بعد ذلك وذابت امام نور

العقل ذوبان الثلج امام نور الشمس واصبحت اضحوكة يزدري بها اصحابها

فهيهات ان يكون التثليث عند النصارى من هذا النمط فانّ عقيدة مثل هذه القائلة بكون الله الواحد هو في ثلاثة اقانيم لا تخطر على قلب بشر وقد بيّنا سابقاً في المشرق (١٥ [١٩١٢] : ١٣٢–١٤٥) في ردّنا على محمد طاهر التنير الفروق المتعدّدة الموجودة بين سرّ الثالوث النصرانيّ العجيب وبين الثالوثات والخاموسات والسابوعات النجسة والمملوءة خرافة التي شاعت عند بعض الامم الوثنيّة فلتُراجع

فمن اين اذن اخذ النصارى معتقدهم ؟ اخذوه بلا مراء من الوحي الالهيّ وحدهُ

وهذا الوحي كان ظهورهُ خفيفاً في عهد بني اسرائيل لما كان عليهِ اليهود من الميل الى ارجاس الوثنيين فاخفاهُ الله عنهم لئلّا يسيئوا فهمهُ . وانّما كشفهُ لبعض اوليائهِ منهم كموسى كليم الله الذي اشار اليهِ في مفتتح سفر التكوين حيث ذكر اسمَ الخالق على صورة الجمع «ألوهيم» وروحهُ الذي كان «يرفُّ على المياه» . وكابرهيم الخليل الذي تراءى لهُ الله على صورة ثلاثة شبّان متشابهين فسجد لهم وكلّمهم بالافراد «سيدي» . وكداود في مزاميرهِ (مز ٣٢ : ٦) حيث يقول : «بكلمة الربّ صُنعت السماوات وبروح فيهِ كل جنودها» . وكاشعيا (٦ : ٣) الذي سمع السرافين قدّام عرش الله يثلّثون تسبحتهُ : «قدّوس قدّوس قدّوس» . وآيات اخرى استشهد بها السيد المسيح من العهد العتيق دلالةً على الوهيتهِ (مز ١٠٩ : ١) : «قال الربّ لربي اجلس من عن يميني» او على روحه القدّوس (اشعيا ٦١ : ١) : «انّ روح الربّ عليّ مسحني لأبشر المساكين وارسلني لأجبر منكسري القلوب»

على ان هذه الرؤى والآيات قد كشف الانجيل الطاهر معانيها الخفيّة واظهرها بكلّ جلاء في كلّ صفحة من صفحاتهِ وذلك مباشرةً بتبشير الملاك جبرائيل للعذراء مريم بميلاد ابن الله فذكر الآبَ بقولهِ «ذلك نعمةٌ عند الله» وذكر الابن بقولهِ ان المولود فيها «ابن الله سيُدعى» وذكر الروح القدس الذي بفعلهِ ستتمُّ ولادة المسيح اذ يحلّ عليها ويظلّلها بقوّتهِ

وختام الانجيل شبيهٌ بأوّلهِ اذ كانت آخر كلمة قالها المسيح قبل صعودهِ الى السماء لتلاميذهِ : اذهبوا علّموا جميع الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وبين مُفتتح الانجيل وختامهِ نحو من مئتي آية فيها كلام صريح عن أحد الاقانيم

الثلثة ولاسيَّما عن لاهوت السيد المسيح كما بيَّنَّا ذلك في كتابنا البرهان الصريح في اثبات الوهيَّة المسيح رداً على المنار (المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٨١ الخ) . فهناك اقوال لا تخطر على قلب انسان لو لم يرح بها . فايُّ بشر يا تُرى امكنهُ ان يخترع ما جاء هناك كقولهِ (يوحنَّا ١) : « في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله والله كان الكلمة . . . كلُّ بهِ كُوِّن وبغيرهِ لم يكوَّن شيء مما كُوِّن » الخ . وقولهِ (متى ١١ : ٢٧) : « كل شيء قد دُفع اليَّ من ابي . وليس احد يعرف الابن الَّا الآب ولا احد يعرف الآب الَّا الابن » . وقولهِ (يوحنا٣ : ١٣) : « لم يصعد احد الى السماء الَّا الذي نزل من السماء ابن البشر الذي هو في السماء » . وقولهِ (يوحنا ١٥و١٦) : « متى جاء المعزّي الذي أُرسلهُ اليكم من عند الآب روح الحقّ الذي من الآب ينبثق . . . يرشدكم الى جميع الحقّ . لانَّهُ لا يتكلَّم من عنده . . يأخذ مما لي ويخبركم . جميع ما للآب فهو لي ومن اجل هذا قلتُ لكم يأخذ مما لي ويخبركم » . فنسأل كلَّ رجلٍ سليم النيَّة خالٍ من الاوهام أيمكن مخلوقاً ان يكتب مثل هذا من عندهِ لولا وحيٌ من الله . ولاسيَّما اذا اعتبرنا ان هؤلاء الكتبة كانوا أُميين صيَّادين بكَّتهم السيِّد المسيح مراراً على جهلهم لامور الله

وما كتبوهُ في الانجيل كرَّروهُ وزادوهُ ايضاحاً هم وتَبَعتُهم في رسائلهم . اقرأ مثلاً ما افتتح بهِ بولس الرسول رسالتهُ الى العبرانيين : « انَّ الله الذي كلَّم الآباء قديماً في الانبياء كلَّمنا اخيراً في هذه الأيام في الابن الذي جعلهُ وارثاً لكلّ الاشياء وبهِ انشأ الدهور وهو ضياء مجدهِ وصورة جوهرهِ وضابط الجميع بكلمة قوَّتهِ وبعد ما طهَّر الخطايا جلس عن يمين الجلال في الاعالي . . . يقول لهُ (الاب) : انَّ عرشك يا الله الى دهر الدهور وصولجان ملكك صولجان استقامة . . . اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئاً لقدميك »

فمن كلّ هذا يلوح سرُّ الاله الواحد ذي الاقانيم الثلثة . وبما انَّهُ جاء بالوحي فلا بُدَّ من الايمان بهِ ما لم يثبت لنا صاحب المنار احد شيئين امَّا انَّ هذه الآيات ليست من الوحي وانَّما هي تدليسٌ وكلام زُور دسَّهُ بعض ذوي الغايات خدع بهِ الناس وإمَّا ان لهذه الآيات معنى غير المعنى الذي يزعمهُ النصارى

(والقول الاوَّل) مردود لانَّ الاناجيل الاربعة القانونيَّة هي وحدها دون

سواها في ايدي المسيحيين منذ عهد الرسل لم يمسَّها تغيير ولا تحريف. وقد نشر الاب المرحوم انطون رباط في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٢٤١ الخ) فصولاً واسعة في الانجيل الشريف اثبت فيها «حقيقة نسبة الاناجيل الى كتبتها وتاريخها وبراءتها من التحريف وصدقها» (١ ولا نعلم انَّ احداً ردَّ عليها في شيء. وممَّا رواهُ هناك تعريف عدَّة نسخ مخطوطة من الاناجيل سبقت الاسلام بعضها بمئة وبعضها بمئتين بل بثلثمائة سنة يمكن فحصها علمياً وبيان سلامتها من كلّ تحريف. واثبت ترجمتها عن اليونانيَّة منذ القرن الثاني للميلاد في اللاتينيَّة والسريانيَّة والقبطيَّة وكلّها متوافقة المعاني مع اختلاف اللغات. ولو افترض انَّ تلك النسخ مفقودة كلها لاستطعنا تركيب الاناجيل الاربعة تماماً بجمع ما نصَّ عليهِ او استشهد بهِ منها آباء الكنيسة في القرون الخمسة الاولى للميلاد. فكفى بذلك دليلاً على صحَّتها كما لو افترض فقدان القرآن فتُجمع آياتهُ من شواهد كتبة العرب الاوَّلين فلا بُدَّ من القول انَّ الاناجيل بريئة من كل تزييف وانهُ لا يستطيع احد من العلماء ان يُبطل منها فصلاً ولا حقيقة دينيَّة ولا تعليماً ادبيًّا

ولعلَّ جناب منشئ المنار يحتجّ ببعض اناجيل كاذبة اشاعها المبتدعون في ازمنة مختلفة لكنَّها منذ ظهورها اعلنت الكنيسة فسادها وقد كتبنا فصلاً مطوَّلاً عن ستَّة عشر انجيلاً من اناجيل الزور (المشرق ١١ [١٩٠٨] : ١٩٤—٢٠٥) التي ظهر كذبها لكلّ عيان. منها انجيل برنابا الذي عُنيت مجلة المنار فعرَّبتهُ وطبعتهُ ظنًّا منها انها وجدت سلاحاً لمحاربة النصرانيَّة وقد بيَّنَّا لها هناك (ص٢٠٤) انَّها خُدعت بالظواهر وانَّ الانجيل المزعوم هو لراهب جحد دينهُ في القرن السادس عشر فضمَّنهُ كلّ خرافات دماغهِ العليل.

وليس للقول الثاني صحَّة اعظم اعني القول بانَّ النصارى لم يدركوا معنى تلك الآيات المنزلة بالوحي عن الثالوث الاقدس. لأن تلك المعاني واضحة جليَّة مكرَّرة تكراراً متعدّداً لا يحتمل شرحها مجازاً. وهكذا فهمها رسل المسيح في تآليفهم وبنوا عليها دستور ايمانهم ووافقتهم الكنيسة في كلّ آثارها الفنيَّة وفي كتاباتها ومجامعها وتعليم كلّ ملافنتها وضربت بالحرم على يد كل من حاول نفي حقيقتها وهي حتى اليوم تفرز من جماعتها كل من ينكرها. فلا سبيل اذن الى صاحب المنار

١) قد طُبعت هذه الفصول على حدة فيمكن الحصول عليها في مطبعتنا الكاثوليكيَّة

الى قرع هذا الباب الآخر

فماذا يبقى لهُ ؟ هو قولهُ «انَّ في القول بالتوحيد والتثليث تناقضاً» فكأنهُ يريد ان ينقض تلك الحقيقة من الوجه الفلسفيّ . ونحن نسلّم لهُ جدليًّا بفساد هذا التعليم لا بل بفساد الدين القائل بهِ لو امكنهُ ان يثبت التناقض المزعوم لان التناقض الصحيح في تعليم احد الاديان دليل قاطع على فساد ذلك الدين

ويجب قبل كلّ ان نحدّد ما هو التناقض . التناقض في اللغة التخالُف اشتقّ من تناقُض الحبل اي انتكاثهِ وانحلال إبرامهِ . وهو في اصطلاح الفلاسفة اختلاف الامرين على وجه لا يمكن الجمع بينهما . وتناقُض القضيّتين اختلافهما بالايجاب والسلب بحيث يقتضي صدقُ احداهما كذبَ الاخرى كما لو قُلت : الله موجود والله ليس بموجود . والعالم حديث والعالم قديم . هذا واحد وثلثة معاً . ففي كلّ هذه القضايا ينفي احد الوجهين الوجه الآخر فوجودهما معاً من المُحال اي من الباطل الفاسد من كلّ وجه . فوجود الله ينفي عدم وجوده والعكس بالعكس . ومثلهُ حدوث العالم ووحدانيّة الشيء ينفيان قدم العالم وثلاثية ذاك الشيء بعينهِ . ويُعكس

فهلمّ نبحث عن معتقد النصارى في التوحيد والتثليث أفي قولهم انهُ تعالى واحد بالطبيعة مثلّث الاقانيم تناقضٌ حقيقي ؟ قلنا انَّ تحديد التناقض وَضع الشيء ايجاباً وسلباً معاً . فمَن من النصارى رعاك الله يدّعي انَّ الله هو الله واحد وثلثة آلهة ؟ وانَّ لهُ جوهرًا واحدًا وثلثة جواهر ؟ وانَّما يقولون استنادًا الى ما اوحى الله اليهم بهِ بواسطة السيد المسيح كلمتهِ المتأنس انَّ الله الوحيد بالطبيعة ذو ثلثة اوصاف نسبيَّة آب وابن وروح قدس يدعونها اقانيم لانها قائمة بتلك الطبيعة الواحدة

يقول النصارى انَّ الله عزَّ وجلّ الواحد الصَّمد ذا الجلال والكمال والجوهر الفرد الذي لا يُمكن تقسيمهُ او تجزئتهُ البتّة هو الهٌ عاقل يعقلُ حقيقة ذاتهِ الالهيَّة منذ الابد ومعرفتُهُ هذه لذاتهِ ليست عرضيَّةً اذ لا عَرَض في الله وانَّما هي معرفة جوهريَّة هي صورتُهُ وضياء مجدهِ الجامعة لكلّ كمالاتهِ كأنَّهُ هي وكأنَّها هو . وتلك الصورة هي كلمتهُ القائمة بذاتها التي لا تقع تحت قول : كن . ولانَّها صادرة عنهُ متولّدة منهُ بطريقة العقل دون حركة ولا زمان ولا مكان ثابتة فيهِ دون انفصال دعوناها كلمةً ودعوناهُ ابًا كما ندعو معقول عقلنا الذي ينتجهُ ذهننا ابنَ فكرتنا او

كلمتهُ تلفظها شفاهنا دون ان تبارح عقلنا وانما كلمة الانسان عَرَض وكلمة الله الهُ كمصدرها تُشبه مصدرها شبهاً تاماً وتأخذ عنهُ لاهوتهُ مع كل كمالاتهِ. وبما انَّ الابن يشبهُ الآب وهو صورتهُ الجوهريَّة وجب ان تكون بين الآب وكلمتهِ علاقة وهي علاقة الحبّ لتلك الكلمة وحبّ الكلمة الى مُولدهـا. وهذه العلاقة ليست ايضاً عرضاً بل جوهرًا وذلك هو الروح القدس الحبّ المتبادل بين الآب والابن المنبثق من كليهما. فجوهر الآب هو ذات جوهر الابن وكلمتهُ وذات جوهر الروح القدس رابط الحبّ بينهما. فترى انَّ في كلّ ذلك ليس اثرٌ للتناقض

وان قال صاحب المنار انهُ لا يدرك هذا السرّ تماماً اجبناهُ انّنا نحن ايضاً لا ندركهُ وكفانا ان نعرف حقيقةً انَّ الله أوحى بهِ. او نقيس الله على قصر عقلنا البشري؟ فلو كنَّا ندرك كُنهَ الله لكنَّا آلهةً. وكم من الاسرار يجب علينا قبولها ولو لم يدركها عقلنا. مَنْ منَّا يفهم اسرار الطبيعة الهيولية وكلّ عجائبها؟ أنفهم حسناً ما فينا من القوى الحسيَّة والعقليَّة؟ ألايقول الملحدون مثلنا بالبعث والنشور؟ او ليس ذلك سرًّا؟ أيدركون جيّداً وحدانيَّة الله وكمالاتهِ؟ فليذكر صاحب المنار جواب الامـام الغزالي اذ طلب اليهِ الزمخشري ان يشرح لهُ قول القرآن «الرحمان على العرش استوى» فاجابهُ:

قُـلْ لمن يفهمْ عني مـا اقولْ ... أترك البحث فذا شرح يطولْ
ثَمَّ سِرٌّ غامضٌ من دونهِ ... ضُرِبَتْ بالسيف اعناقُ الفحولْ
انت لا تعرف ابـاك ولم ... تدرِ من أنت ولا كيف الوصولْ
لا ولا تدري صفاتٍ رُكّبت ... فيكَ حارت في خفاياها العقولْ
اين منك الروحُ في جوهرهـا ... هل تراها او ترى كيفَ تجولْ
انتَ أكلَ الخبزِ لا تعرفهُ ... كيف يجري فيك ام كيف يزولْ
فـاذا كانت طرايـاك التي ... بين جَنْبَيْكَ جا انت جَهُولْ
كيف تَدْري مَن على العرش استوى ... لاتَقُلْ كيف استوى كيف الوصولْ
فهو لا كيفٌ ولا ابنٌ لـهُ ... هو ربُّ الكيف والكيفُ يحولْ
هو فوقَ الفوقِ لا فوقٌ لهُ ... وهو في كلّ النواحي لا يزولْ
جـلّ ذاتاً وصفـاتٍ وعـلا ... وتعـالى ربُّنـا عمـاً نقولْ

نِعم القول نعرضهُ على كلّ من يلومنا عن اعتقادنا اسرار الله وان لم نفهما. وبهِ يتّضح ايضاً بُطلان قول بعض المتفيهقين انَّ للنصرانيَّة وحدهـا اسرارًا لا يستطيع العقل ادراكها. فان لكلّ دين اسرارًا يعجز العقل عن فهمها. وغاية ما يمكن الانسان

ان يطالب به صاحب الايمان ان معتقدهُ لا تناقض فيهِ وانهُ ورد حقيقةً في الوحي وقد بيَّنَّا الامرين كليهما بقوَّة الله . وان شاء المخالف مثلًا قريباً لمعتقدنا في التوحيد والتثليث أَحلناهُ الى مشاهدة النفس البشريَّة وقواها الثلث العقل والارادة والذاكرة . فالنفس هي العقل وهي ايضاً الارادة وهي ايضاً الذاكرة . والعقل يختلف عن الارادة والارادة تختلف عن الذاكرة ومع ذلك النفس واحدة وان كانت مثلثة القوى . فهكذا الله تعالى واحد في الجوهر مثلث الاقانيم

ملحق

فكاهة دينيَّة للشيخ يحيى بن عديّ

عن مسئلة جرت بين يدي علي بن عيسى الجرَّاح في التوحيد والتثليث

المشرق — نورد هنا نبذةً مستلحقة نقلناها عن نسختي باريس (Paris, Ms Ar., 101 pp. 305) والفاتيكان (Vat. Ms 134 pp. 217) لما علاقة مع المقالة السابقة . وهي للفيلسوف النصرانيّ الشهير ابي زكريا يحيى بن عديّ من نصارى القرن العاشر للميلاد (+ ٩٧٤) . وهي مسئلة جرت في ديوان عليّ بن عيسى بن الجرَّاح وزير الخليفة المقتدر فدونك نصَّها :

قال ابو زكريا يحيى بن عديّ اخبرني بعض اخواني انَّ الوزير ابا الحسن عليّ بن عيسى بن الجرَّاح رضي الله عنهُ وارضاهُ واكرم مآبَهُ ومثواهُ استحضر ابا مسلم محمد بن بحر (؟) الاصفهاني رحمهُ الله ليوافقهُ على ما كان يتولَّاهُ من الاعمال . فجرى بينهما خطاب اختلفا في ما يجب فيهِ من الحكم . واتَّفقا على ان يرجعا فيهِ الى من يوثق ببصيرتهِ بأحكام الديوان من كتَّاب الحضرة . فذكر الوزير ابو الحسن بصَّرهُ اللهُ وجههُ رجلًا من وجوه كتَّاب النصارى فقال ابو مسلم الاصفهاني : لا ارضى بهِ لانهُ لا يُحسن الحساب . فقال الوزير منكرًا عليهِ : أتقول في فلان انهُ لا يُحسن الحساب ؟ فقال : نعم لانَّ الواحد عندهُ ثلثة والثلثة واحد . فاستضحكهُ بذلك . وانَّما عنى ابو ابو مسلم بقولهِ وَصفَ النصارى للبارئ عزَّ وجلَّ بانهُ جوهر واحد موصوف بثلث

صفات وهي التي يسمّونها الاقانيم

(قال يحيى بن عديّ) : ولو امعن ابو مسلم النظر في ذلك ووفّق الحطأة الحقيقيّة فيه لَظَهَرَ لهُ انهُ على ما يعتقدهُ ويقولهُ أَولى بان يوصف بانهُ لا يُحسن الحساب من النصارى . والدليل على ذلك ما انا قائلهُ منذ الآن فاقول : كلّ لفظة امّا ان تكون يُشار بها الى معنًى من المعاني وامّا ان تكون لا يُشار بها الى معنًى . وكلُّ لفظتين يُشار بكلّ واحدةٍ منهما الى معنًى فلا بُدَّ ضرورةً من ان يكون المعنى الذي يُشار اليهِ باحداهما امّا هو المعنى المشار اليهِ بالاخرى . وامّا غير المعنى المشار اليهِ بها . ومن البيّن انَّ الفاظ «الجواد والحكيم والقادر» يُشار بكل واحدةٍ منهنَّ الى معنًى . ومن الاوائل في كلّ عقلٍ صحيح انَّ المعنى الذي يُشار اليهِ بلفظة «جواد» هو غير المعنى الذي يشار اليهِ بلفظة «حكيم» وغير المعنى الذي يُشار اليهِ بلفظة «قادر» . ونحن والذي ظنَّ بنا انّنا لا نُحسن الحساب لانّنا نقول انَّ شيئاً بعينهِ يصحُّ ان يوصف بانّهُ شيء واحد ويصحّ بان يوصف بانّهُ اشياء ثلثة مُقِرّون بانَّ البارئ تعالى واحد وموصوف بانهُ جواد وبانّهُ حكيم وبانّهُ قادر . وخصمُنا يقول بانَّ الموصوف بهذه المعاني الثلثة هو هو هذه المعاني وانّهُ واياها واحد من كلّ وجه . فيلزمهُ لا محالة ان يكون الذي هو واحد من كلّ وجه هو هو بعينهِ هذه الثلثة المعاني من كلّ وجه . ومن البيّن لمن لم يخرج من عقلهِ انَّ من يقول بانَّ البارئ الذي هو واحد من كلّ وجه هو هو بعينهِ المعاني الثلثة هو اولى بالوصف بانهُ لا يُحسن الحساب ممّن يقول بانَّ شيئاً بعينهِ هو واحد من وجه وثلثة من وجه آخر . فانّا نحن نقول انَّ البارئ جلَّ ثناؤهُ موصوفٌ واحد بثلث صفات . فالواحد يوصف بهِ الموصوف والثلثة توصف بها الصفات . فنحن اذن احقُّ بانلا يلزمنا ان نقول انَّ الواحد هو هو من كل وجهٍ ثلثة . وذلك ما اردنا ان نبيّن والشكر لله واهب العقل دائماً ابداً (١)

(المشرق) نحيل القرّاء الذين يريدون زيادة ايضاح في التوحيد والتثليث الى المقالات النفيسة التي نشرناها في المشرق سابقاً لبولس الراهب اسقف صيداء ولعدي بن يحيى ولعبد يشوع وايليّا الطرابلسيين وقد طبعناها على حدةٍ في مجموع عنوانهُ مقالات دينيّة قديمة صدرت طبعتهُ الثانية في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٠ (صفحاتهُ ١٦٨)

١) هذه المقالة ليحيى بن عديّ هي الخامسة من مقالاتهِ التي نشرهـا الكاهن اوغستين بيريه (ص ٦٢–٦٨) وبين قراءتنا بعض اختلاف جزئيّ